

مجالات استفادة الإمام الألوسي من الروايات الإسرائيلية في تفسيره روح المعاني
Areas of benefit of Imam Al-Alusi from the Israeli narrations
in his interpretation of the spirit of meanings

ماتي تسعديت¹

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

tassadoctora@gmail.com

أ.د رمضان يخلف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

ikhramdan@gmail.com

تاريخ الوصول 2022/12/24 القبول 2023/01/29 النشر على الخط 2023/03/15

2023/03 Published online 15/2023/01/29 Accepted 2022/12/24 Received

ملخص:

يتناول هذا البحث موضوعا حساسا، أسأل الكثير من الخبر في القديم والحديث ألا وهو الإسرائيليات التي تعد نوعا من أنواع الدخيل في التفسير، وقد تباينت مواقف علماء التفسير منها، فموضوع توظيف الروايات الإسرائيلية في تفسير القرآن الكريم من الموضوعات المهمة والمثيرة للجدل، وهذا المقال محاولة لمعالجة هذه المسألة وتحرير القول فيها، من خلال دراسة أهمية هذا التوظيف في التفسير، ويعد الإمام الألوسي من أشهر المفسرين الذين أوردوا الروايات الإسرائيلية في تفاسيرهم، فهذا المقال يحاول فهم صنيع الإمام الألوسي في إيراد هذه المروييات، وذلك من خلال الإجابة على هذا التساؤل: ما هي مجالات استفاد الإمام الألوسي من الروايات الإسرائيلية في تفسيره المسمى "روح المعاني"؟.

الكلمات المفتاحية: الألوسي - الروايات الإسرائيلية - تفسير روح المعاني.

Abstract

This research deals with a sensitive topic that drops a lot of ink in the old and modern days namely the Israelites which is a kind of intruder in the interpretation and the position of the scholars of interpretation have varied regarding it.

The subject of employing Israeli narration in the interpretation of the holy Quran in one of the important and controversial topics. And this article is an attempt to address this issue and liberate the opinion on it.

By studding the importance of this employment in the interpretation among those who cited the Israeli narratives in their interpretation.

This research tries to understand the formula of imam alalussi in the mention of these Israelis women. By answering the question what are

The areas of alalussi benefit from the Israeli narratives in his interpretation called ruh almaani.

keywords: Al-Alusi - Israeli Novels - Interpretation of the Spirit of Meanings

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجاً، قِيَّماً، لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يتطرق إليه تحريف وتبديل، ولا يميل به عن الجادة باطل، { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }¹، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبد الله ورسوله، وصفيته من خلقه وحبيبه، آخر من تلقى هدي السماء إلى الأرض، ولسان الصدق الذي بلغ عن الحق مراده إلى الخلق، فكان تاج النبيين وإمامهم، وسيد المرسلين وخاتمهم، أرسلوا إلى أقوامهم خاصة، وأرسله ربه إلى الناس عامة، قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }².

وبعد:

فإن أهمية التفسير تأتي من القرآن نفسه، لأن شرف الشيء يشرف بشرف متعلقه، إذ التفسير يوضح ويبين ما جاء به القرآن الكريم، ولما كان القرآن كتاب الله المعجز والمصدر الأول للتشريع كان الاهتمام بتفسيره كبيراً، وكان التفسير بالمأثور أحد أقسام التفسير وكان من أسباب ضعف هذا النوع من التفسير هو الروايات الإسرائيلية وكيف وإن المفسرين تساهلوا في الروايات والأخبار وأدخلوها تفاسيرهم.

وبالتالي راجت الإسرائيليات وانتشرت في كتب العلوم، كما انتشرت على ألسنة الناس وتلقوها بالقبول واشتغلوا بها وأذاعوها، فكانت حجاباً على فهم كتاب رب العالمين.

ولكن ظهر من المفسرين من تصدى بحزم لهذه الروايات ونقدها وبين ما فيها من خرافات، وكان الألوسي من المفسرين القليل الذين نقدوا هذه الإسرائيليات، وتصدوا لها فأردت أن أبين وأظهر جهود هذا العالم الجليل في هذا الجانب، وبالأخص مجالات استفادته من الإسرائيليات في تفسيره المسمى "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني".

وللإجابة عن ذلك اقتضت علاج الموضوع وفق هذا العنوان: مجالات استفادة الإمام الألوسي من الروايات الإسرائيلية في تفسيره "روح المعاني".

وتكمن أهمية الموضوع في أنه سلط الضوء على موضوع مهم متعلق بتفسير القرآن الكريم ألا وهو الإسرائيليات، ولذا كان أحد أهداف البحث أن نبين كيف استفاد الألوسي من الإسرائيليات في تفسيره لاسيما وأنه من أشد الناس في الرد عليها.

فكانت خطة البحث كالآتي: مقدمة، ومطلب اشتمل على تعريف الألوسي وتحديد المصطلحات الواردة في العنوان، ومطلب ثاني يتضمن مجالات استفادة الألوسي من الإسرائيليات في تفسيره.

المطلب الأول: تعريفات وتحديد المصطلحات.

1- التعريف بالإمام الألوسي وكتابه:

وأبو الثناء هو شهاب الدين، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، نسبة إلى أوس، كما حققها الزركلي في أعلامه⁽³⁾. ينتهي نسبه إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كما ذكر هو في تفسيره، إذ قال في كلامه على النسب المعنوي والنسب الصوري: "وأنا

¹ فصلت: 41-42.

² سبأ: 28.

³ الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط15، 2002م، 176/7.

أحمد الله تعالى كما هو أهله على أن جعلني من الفائزين بالنسبين حيث وهب لي الإيمان، وجعلني من ذرية سيد الكونين صلى الله تعالى عليه وسلم، فهذا أنا من جهة أمّ أبي من ذرية الحسن، ومن جهة أبي من ولد الحسين رضي الله عنهما:

نَسَبْتُ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى
نورًا ومن فَلَقِ الصُّبْحِ عموداً⁽¹⁾

وُلد ببغداد في منتصف شعبان سنة 1217هـ الموافقة لعام 1802م لأسرة من الأسر العلمية العريقة، ودرس على عدد كبير من علماء العراق، وأخذ عنه خلق كثير.

نشأ الشهاب الألوسي في بيت علم وأدب، وكان والده مدرس العلوم ببغداد وفقه الحنفية وإمام الشافعية، فربى ولده على حفظ القرآن، فحفظه وأخذ منه الأدب والبلاغة والحديث.

كانت الأسرة الألوسية خاصة، وبغداد عامة هي منبع العلم ومستقر الأدب، وكانت أسرته من أكبر الأسر في بغداد، ووالده مفتيها وإمامها، وفي هذا الجو نشأ طود الأدب وعلم البلاغة، وأمير البيان الإمام الألوسي، فعندما وصل عمره ثلاث عشرة سنة كان قد أجزى في تدريس العلم، وبدأ في الدعوة إلى الله، ولما وصل العشرين كان والده قد توفي في سنة (1242هـ) بالطاعون الذي ضرب بغداد.⁽²⁾

وبعد ذلك رحل الألوسي وهجر داره وسكن حوار مسجد الشيخ عبد الله العاقولي بالرصافة. وفي عام (1238هـ) تولى الوعظ في جامع الشيخ عبد الله العاقولي، فسمع وعظه مرة الوزير علي رضا، فدعاه لزيارته، وولاه أوقاف المدرسة المرجانية، وقد كانت مشروطة لأهل بغداد. ثم انتشر اسمه وذاع صيته، حتى أمه الناس وصار علماً في الفقه الحنفي فعينه علي رضا مفتياً للحنفية⁽³⁾.

وفي هذه الفترة بدأ في تفسير روح المعاني، وألف كثيراً من الكتب، وراسله الأدباء وشرع في تدريس العلوم بداره، حتى ذاعت شهرته وطبقت الآفاق وملاّت العراق وراجت في أركان الدنيا.

وفي هذه الأثناء عُزل رضا باشا عام (1258هـ) وخلفه محمد نجيب باشا فعزل الألوسي بعد أن استمر في الفتوى والتدريس خمس عشرة سنة وذلك في سنة (1263هـ) فاشتغل الألوسي بالتفسير، حتى أمه عام (1267هـ)⁽⁴⁾.

أما آثاره فقد جاوزت العشرين، عدا فتاواه وتُرسلاته وأشعاره، وتميزت جميعها بالإحاطة والعمق واستقلال الفكر وحرية، مع روعة البيان وحسن الافتنان في صياغة معانيه وأفكاره⁽⁵⁾، وبحسبك تفسيره روح المعاني الذي امتدحه الشعراء وأثنى عليه العلماء الكبراء، تُؤيِّد رحمة الله ببغداد إثر علة اعتلها وهو في طريق عودته من عاصمة الخلافة، وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة 1270هـ.

¹ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 150/10.

⁽²⁾ أعيان القرن الثالث عشر، أحمد تيمور باشا، دار الآفاق العربية، ط1، 2001م، ص167.

⁽³⁾ ينظر: المصدر السابق، ص: 167، معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: 1408هـ)، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت، 815/3.

⁽⁴⁾ هداية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، طبع استانبول وكالة المعارف، د ط، (1951م)، 652/1، معجم المؤلفين، 815/3.

⁵ محمود شكري الألوسي وأراؤه اللغوية، ص 23.

كان الإمام الألويسي سلفي العقيدة، في غير تعصب، ولا ميول منحرفة، وكان أسلافه على مذهب الإمام الشافعي في الفقه، وقد درس هو الفقه عنهم، وأخذ منهم وقد نزع هو مع شافعيته إلى مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة، حتى صار من فقهاء، وأكبر علمائه ونبغ فيه إلى أن صار إماماً للمذهب، مفتياً للحنفية.

وقد أخذ الطريقة الصوفية النقشبندية على الشيخ أبي البهاء خالد النقشبندي، فالألويسي سني من أهل السنة والجماعة، شافعي المذهب حنفي الفتوى والإفتاء، نقشبندي الطريق والسلوك.⁽¹⁾

والإمام الألويسي بعد أن ألف في جميع ضروب العلم، تاقته همته ودعته صدق نيته للخوض في مجال التفسير فألف سفره المسمى "روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني" شارحاً لكتاب الله، مفسراً له وقد شرع فيه سنة (1252هـ) وفرغ منه سنة (1257هـ)، وقد كان رأى رؤيا قال: "أن الله أمرني بطي السموات والأرض، ورتق فتقها على الطول والعرض، فرأيت في ذلك وجعلت أفتش لها تأويلاً فرأيت في بعض الكتب أنها إشارة للتفسير"⁽²⁾.

والناظر في كتاب روح المعاني، يجد أن الإمام الألويسي قد اختط نهجاً فريداً، وسلك منهجاً جديداً، وبرع في علوم وضعها في تفسيره هذا دون أن يشير إلى ذلك، فنجد اللغة والأدب والبلاغة والفصاحة، والعلوم كالفلك وغيره.

وجملة القول، فإن روح المعاني للعلامة الألويسي ليس إلا موسوعة تفسيرية، قد جمعت زبدة التفاسير التي تقدمته، وآراء السلف الفقهية والعقدية، والأدلة والبراهين العقلية والنقلية، مع جزالة في اللفظ وسهولة في العبارة ومناقشة آراء الغير، ويعتمد فيها على قوة ذهن، وصفاء فريجة⁽³⁾.

وكتاب الألويسي كتاب جليل في قدره، عديم المثل في بابه، كيف لا وقد شهدت له الأفاضل، وذاع صيته، وأخذ عنه من بعده وجمع صنوف العلوم، وأزال غموض اللغة، وجمع روايات الكتب الصحيحة، فهو أحد مراجع التراث الإسلامي، وما أبداع قول القائل فيه:

إن كان محمود جار الله قد جمعت له المعاني بتفسير وتبيان
إن محمدونا الحبر الشهاب له روح المعاني وكان الفخر للثاني⁽⁴⁾.

ما أخذ عليه:

- أخذ عليه ترك بعض الأحاديث دون عزو.
- الإكثار من التفسير الإشاري الذي لم يكن في حاجة إليه.
- الاستطراد في بعض الموضوعات، وكثرة المناقشة فيها، مما يفصل القارئ عن الموضوع الأصل.

(1) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، 352/1، مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ت: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، 84/1، التفسير ورجاله، ابن عاشور، ط2، (1417هـ_1997م)، ص 136.

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: 1270هـ)، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ

، 3/1، مناهل العرفان، 61/2.

(3) ينظر: التفسير والمفسرون، 36/1، التفسير ورجاله، ص 153، مناهل العرفان، 1/82.

(4) أعلام القرن الثالث، ص 51، منهج الشيخ الألويسي في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، عبد الله ربيع جنيد، ص 35.

- إيراد بعض الأحاديث الضعيفة والأقوال الشاذة دون الإشارة إلى ضعفها أو شدوذها.

- كثرة الشواهد اللغوية والإطالة فيها⁽¹⁾

2- تحديد المصطلحات:

-تعريف الإسرائيلية لغة واصطلاحا.

أ- لغة: وذكر صاحب الكلبيات: "إسرائيل لقب يعقوب، قيل معناه عبد الله، لأنَّ أيل اسم من أسماء الله بالسريانية، وقيل صفوة الله، وقيل سرّ الله، أو لأنه انطلق إلى حالة خشية أن يقتله أخوه عيصوا، فكان يسري بالليل ويكمن بالنهار وقصّته مسطورة في بعض كتب الحديث"⁽²⁾.

ب- اصطلاحا:

يقول محمد حسين الذهبي معرّفا لها: "لإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على اللون اليهودي للتفسير، وما كان للثقافة اليهودية من أثر ظاهر فيه، إلا أنّنا نريد به ما هو أوسع من ذلك وأشمل، فنريد به ما يعم اللون اليهودي واللون النصراني للتفسير، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية، وإنما أُطلق على جميع ذلك لفظ الإسرائيليّات تغليبا فقط، فإنّ الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره فكثرت النقل فيه، وذلك لكثرة أهله، وظهور أمره، وشدّة اختلاطه بالمسلمين، من مبدأ ظهور الإسلام."³

ج- حكم رواية الإسرائيليّات:

يتعلق حكم رواية الإسرائيليّات بالأقسام التي ذكرها ابن تيمية في أقسام الإسرائيليّات، فقال: ولكن هذه الأحاديث الإسرائيليّة تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنّها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجاوز حكايته؛ لما تقدم. وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني؛ ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرا. ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحيهاها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم ولكن هذه الأحاديث الإسرائيليّة تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنّها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجاوز حكايته؛ لما تقدم. وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني؛ ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرا. ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك،

(1) الإسرائيليّات والموضوعات في كتب التفسير، أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط4، 1408هـ، ص 12، منهج الشيخ الألوسي في تفسيره، ص 260.

(2) -الكلبيات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القرعبي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، ت: عدنان درويش -

محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ص115.

³ التفسير والمفسرون: 121/1.

كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحيهاها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى¹.

وهو ما ذكره الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره بعد أن ذكر حديث "بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجٍ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" -: "وَلَكِنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الْإِسْرَائِيلِيَّةَ تُذَكِّرُ لِلْإِسْتِشْهَادِ، لَا لِلْإِعْتِضَادِ. فَإِنَّهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: أَحَدُهَا: مَا عَلِمْنَا صِحَّتَهُ مِمَّا بَأْيَدِنَا مِمَّا نَشْهَدُ لَهُ بِالصِّدْقِ، فَذَلِكَ صَحِيحٌ. وَالثَّانِي: مَا عَلِمْنَا كَذِبَهُ بِمَا عِنْدَنَا مِمَّا يُخَالِفُهُ. وَالثَّلَاثُ: مَا هُوَ مَسْكُوتٌ عَنْهُ، لَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَلَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، فَلَا نَوْمٌ بِهِ وَلَا نُكْدَابُهُ، وَتَجَوُّزُ حِكَايَتِهِ لِمَا تَقَدَّمَ. وَغَالِبُ ذَلِكَ مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ تَعَوُّدٌ إِلَى أَمْرٍ دِينِيٍّ. وَهَذَا يَخْتَلِفُ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي مِثْلِ هَذَا كَثِيرًا، وَيَأْتِي عَنِ الْمُفَسِّرِينَ خِلَافٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ. كَمَا يَذْكُرُونَ فِي مِثْلِ أَسْمَاءِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَلَوْنِ كَلْبِهِمْ وَعِدَّتِهِمْ، وَعَصَا مُوسَى مِنْ أَيِّ شَجَرٍ كَانَتْ؟ وَأَسْمَاءِ الطُّيُورِ الَّتِي أَحْيَاهَا اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ، وَتَعْيِينَ الْبَعْضِ الَّذِي ضُرِبَ بِهِ الْقَتِيلُ مِنَ الْبَقْرَةِ، وَنَوْعِ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَلَّمَ اللَّهُ مِنْهَا مُوسَى إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَبْهَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ، مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِي تَعْيِينِهِ تَعَوُّدٌ عَلَى الْمُكَلِّفِينَ فِي دُنْيَاهُمْ وَلَا دِينِهِمْ. وَلَكِنَّ نَقْلَ الْخِلَافِ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ جَائِزٌ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: { سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ } إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [الكهف: 22].²

المطلب الثاني: مجالات استفادة الإمام الألوسي من الإسرائيليات في تفسيره:

هناك من يقول إن الإسرائيليات غير مفيدة في التفسير ولا حاجة إليها فيه، لكن صنيع المفسرين من لدن الصحابة إلى التابعين وتابعيهم إلى ابن جرير الطبري وعمامة المفسرين بعده هو ذكر الإسرائيليات في تفاسيرهم وهذه قضية منهجية عند المفسرين. وهو ما نلاحظه عند الإمام الألوسي حيث إنه لم يبين موقفه النظري من الإسرائيليات، وإنما يستشف ذلك من خلال كلامه الموثق في ثنايا تفسيره، ولاشك أن تفسير الألوسي يمثل إحدى نوافذ التراث الإسلامي، وكان يمثل في زمانه إحدى شعلات العلم، يقول الشيخ قاسم القيسي مفتي بغداد (ت1955) في كتابه تاريخ التفسير ما نصّه: "وأما تفسير العلامة الألوسي المسمى بروح المعاني فليس له في الحجج والتحقيق ثاني اشتمل على تسع مجلدات ضخام حوت من الدقائق والحقائق ما لا يسع شرحه كلام، وهو خال من الأباطيل والإسرائيليات والروايات الواهية والخلافات وجامع للمعقول والمنقول"³.

فالتفسير لا يحتاج إلى الإسرائيليات ولكنه يستفيد منها وهذا ما فعله الإمام الألوسي في تفسيره حيث اعتمد في تفسيره لبعض القصص على دقائق اللغة وسياق الكلام والموضوع العام وتعيين المبهم وغير ذلك، فالإمام الألوسي لا يحتاج إلى الإسرائيليات في تفسيره ولكنه قد يستفيد منها من خلال:

1- تعيين المبهم:

وهذا مسلك واسع جدا في تفسير السلف وان استشكل البعض جداوة وأهميته حيث اعتنوا ببيان المبهمات، وتعيين المبهم أصله في حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث بين لنا المبهم في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح في سورة الكهف

¹ مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1490هـ/1980م، ص41.

² تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م/31.

⁽³⁾ - الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، رمزي نعناعة، دار القلم، دمشق، دار الضيعة، بيروت، ط1، (1390هـ_1970م)، ص341.

وسماه بأنه الخضر فقال الإمام الألويسي: "فوجدنا عبداً من عبادة الجمهور على أنه الخضر بفتح الخاء وقد تكسر وكسر الضاد وقد تسكن، وقيل اليسع، وقيل اليأس، وقيل ملك من الملائكة وهو قول غريب باطل كما في شرح مسلم، والحق الذي تشهد له الأخبار الصحيحة هو الأول، والخضر لقبه ولقب به كما أخرج البخاري وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهمز من خلفه حضراء. وأخرج ابن عساكر وجماعة عن مجاهد أنه لقب بذلك لأنه إذا صلى اخضر ما حوله، وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة أن ذلك لأنه كان إذا جلس في مكان اخضر ما حوله وكانت ثيابه خضرا وأخرج عن السدي أنه إذا قام بمكان نبت العشب تحت رجله حتى يغطي قدميه"¹. وكذلك اعتنى بعض الصحابة بتعيين المبهمات وقد سأل ابن عباس كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أنهما عائشة وحفصة حدثنا الحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُبَيْدَ بْنَ حُنَيْنٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ عَنِ الْمُرَاتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَظَاهَرَتَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَكَثْتُ سَنَةً، فَلَمْ أَجِدْ لَهُ مَوْضِعًا حَتَّى خَرَجْتُ مَعَهُ حَاجًّا، فَلَمَّا كُنَّا بَظَهْرَانَ ذَهَبَ عُمَرُ لِحَاجَّتِهِ، فَقَالَ: أَدْرِكْنِي بِالْوَضُوءِ فَأَدْرِكْتُهُ بِالْإِدَاوَةِ، فَجَعَلْتُ أَسْكُبُ عَلَيْهِ الْمَاءَ، وَرَأَيْتُ مَوْضِعًا فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنَ الْمُرَاتَيْنِ اللَّتَانِ تَظَاهَرَتَا؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا أَمَمْتُ كَلَامِي حَتَّى قَالَ: «عَائِشَةُ، وَحَفْصَةُ»²

وكان أول من تناول تعريف المبهمات في الاصطلاح هو الإمام السهيلي، حيث إنه أول من أفرد هذا الموضوع بالتصنيف فوضع كتابا في مبهمات القرآن سماه "التعريف والإعلام فيما أجهم في القرآن من الأسماء والأعلام" فعرف المبهمات بأنها: "ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر من لم يسمه فيه باسمه العلم، من نبي أو ولي أو غيرها من آدمي، أو ملك، أو جني، أو بلد، أو كوكب، أو شجر، أو حيوان له اسم علم"³. أو هي كل ما ورد في القرآن غير مسمى باسمه الذي يعرف به من إنسان أو غيره⁴.

أما في اللغة فالمبهم: جمع مفرد مبهم، وهو من حيث الاشتقاق، والأصل اللغوي من مادة بهم، الباء والهاء والميم أن يبقى الشيء لا يعرف المأثى إليه، يقال: هذا أمر مبهم⁵. وقال الراغب: وقيل لكلما يصعب على الحاسة إدراكه إن كان محسوسا، وعلى الفهم إن كان معقولا مبهما⁶.

ولهذا اعتنى المفسرون ومن بينهم الإمام الألويسي بموضوع المبهمات لما فيه من الإعانة على فهم المراد من الآيات وتحقيقا لرغبة النفوس التي تتشوق لمعرفة كل غريب وغامض ومبهم، والروايات الواردة في هذا الموضوع تبين اهتمام الإمام الألويسي بهذا النوع من علوم القرآن، حيث اتخذ من المبهمات سبيلا في تفسير القرآن فهو من المجالات التي استفاد منها في تفسيره وذلك لاتفاق القرآن

¹ روح المعاني، 301/8.

² أخرجه البخاري في صحيحه، باب { إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا } [التحریم: 4] " ح رقم 4915، 158/6

³ التعريف والإعلام بما أجهم في القرآن من الأسماء والأعلام، السهيلي مكتبة الأزهر الكبرى، مصر، ص8.

⁴ - قواعد التفسير جمعاً ودراسة: خالد بن عثمان السبتي، دار ابن عقان للطباعة، ط1 (1421هـ)، 720/2.

⁵ - معجم مقاييس اللغة، بن فارس، 310/1.

⁶ - المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ضبطه وراجعته: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت لبنان، ط1

(1418هـ/1998م)، ص73.

مع كتبهم في بعض المسائل وبخاصة قصص الأنبياء عليهم السلام ، وأخبار الأمم السابقة ، وما يتعلق بقصة الخلق والتكوين كقصة آدم وحواء وغيرها، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (23)¹ قال: " والمراد رجلان من المتقين وهما - كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومجاهد والسدي والربيع - يوشع بن نون وكالب بن يوقنا، وفي وصفهم بذلك تعريض بأن من عداهما من القوم لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو، وقيل: المراد بالرجلين ما ذكر، وَمِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ بنو إسرائيل...."²

فالإمام الألوسي اعتمد هنا في تعيين الرجلين الذين أبهمهما القرآن، على ما ورد من الروايات التي مصدرها أهل الكتاب، وقد ساق ابن جرير بسنده عدة روايات عن المفسرين من التابعين تفيد ما ذهب إليه الألوسي من تعيين الرجلين. فروى بسنده عن مجاهد: قال: " رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما"، قال: يوشع بن نون، وكلاب بن يافنا، وهما من النقباء."³

وقال ابن كثير: " وَيُقَالُ: إِنَّهُمَا "يُوشَعُ بْنُ نُونٍ" وَ "كَالِبُ بْنُ يُوفِنَا"، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَعَطِيَّةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ، وَالْخَلْفِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ"⁴
أما أبو حيان فقد قال: " قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ الْأَشْهَرُ عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الرَّجُلَيْنِ هُمَا يُوشَعُ بْنُ نُونَ بْنِ إِفْرَائِيمَ بْنِ يُوسُفَ وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ مُوسَى، وَكَالِبُ بْنُ يُوقِنَا حَتَّى مُوسَى عَلَى أُخْتِهِ مَرْثَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ وَيُقَالُ فِيهِ: كِلَابٌ، وَيُقَالُ:

كَالُوبٌ، وَهُمَا اللَّذَانِ وَقِيَا مِنَ النَّقَبَاءِ الَّذِينَ بَعَثَهُمُ مُوسَى فِي كَشْفِ أَحْوَالِ الْجَبَابِرَةِ فَكُنْتَمَا مَا اَطَّلَعَا عَلَيْهِ مِنْ حَالِ الْجَبَابِرَةِ إِلَّا عَنْ مُوسَى، وَأَفْشَى ذَلِكَ بَقِيَّةُ النَّقَبَاءِ فِي أَسْبَاطِهِمْ فَالَ بِهِمْ ذَلِكَ إِلَى الْحَوْرِ وَالْجُبْنِ بِحَيْثُ امْتَنَعُوا عَنِ الْقِتَالِ. وَقِيلَ: الرَّجُلَانِ كَانَا مِنَ الْجَبَابِرِينَ آمَنَا بِمُوسَى وَاتَّبَعَاهُ، وَأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا بِالْإِيمَانِ. فَإِنْ كَانَ الرَّجُلَانِ هُمَا يُوشَعُ وَكَالِبُ فَمَعْنَى قَوْلِهِ: يَخَافُونَ، أَي: يَخَافُونَ اللَّهَ، وَيَكُونُ إِذْ ذَلِكَ مَعَ مُوسَى أَقْوَامٌ يَخَافُونَ اللَّهَ فَلَا يُبَالُونَ بِالْعُدُوِّ لِصِحَّةِ إِيْمَانِهِمْ وَرَبَطِ جَأْشِهِمْ، وَهَذَا مِنْهُمْ...."⁵
تفصيل المعجم:

إن القرآن طبقاً لأسلوبه في نقل القصص والأحداث التاريخية قلما يتناول الجزئيات أو يخوض في الأمور التفصيلية وإنما يكتفي بجرد الأمور المرتبطة بهدفه ومراده من الكلام وقد أدى هذا الأمر إلى الرجوع إلى الإسرائيليات لأنها تشمل على تفاصيل تلك القصص وهو ما ذهب إليه الألوسي في تفسير الضرر الذي أصاب سيدنا أيوب عليه السلام فقال: "..... فقال: رب أَيْ مَسِّي الضَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وأخرج ابن عساكر عن الحسن أنه عليه السلام قال ذلك حين مر به رجلان فقال أحدهما لصاحبه: ولو كان لله تعالى في هذا حاجة ما بلغ به هذا كله فسمع عليه السلام فشق عليه فقال: (رب) إلخ، وروى أنس مرفوعاً أنه عليه السلام

¹ المائدة: 23.

² روح المعاني، 277/3.

³ جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة

الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م، 176/10

⁴ تفسير القرآن العظيم، 77/3

²⁶ البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أنير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر

- بيروت، الطبعة: 1420 هـ، 219/4.

نفض مرة ليصلي فلم يقدر على النهوض فقال (رب) إلخ وقيل غير ذلك ولعل هذا الأخير أمثل الأقوال، وكان عليه السلام بلاؤه في بدنه في غاية الشدة، فقد أخرج ابن جرير عن وهب بن منبه قال: كان يخرج في بدنه مثل ثدي النساء ثم يتفقا، وأخرج أحمد في الزهد عن الحسن أنه قال: ما كان بقي من أيوب عليه السلام إلا عيناه وقلبه ولسانه فكانت الدواب تختلف في جسده، وأخرج أبو نعيم. وابن عساکر عنه أن الدودة لتقع من جسد أيوب عليه السلام فيعيدها إلى مكانها ويقول: كلي من رزق الله تعالى...¹

2- توجيه الآية لمعنى محتمل لها

إن بعض الآيات مما لا يمكن فهمه بصورة دقيقة إلا من خلال المرويات الإسرائيلية كتفسير فتنة داود وسليمان وغير ذلك، لا يمكن أن يعرف معناها إلا من خلال ما أورده السلف وذكرها فيه روايات إسرائيلية وجهت الآية لمعنى محتمل تفسر عليه. ويزداد وضوح الأمر أكثر عندما تحمل على قصة أخرى غير القصة الواردة عن أهل الكتاب ومن ذلك ما ورد من إجمال في فتنة سليمان بالجسد في قوله تعالى: "وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ"² فالجسد على قول المتقدمين من المفسرين "شيطان" وهذا ما ورد في أخبار بني إسرائيل ومن ورد عنه هذا حمل الجسد على الشيطان: ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وغيرهم، فمثلا قال ابن جرير الطبري في تفسيره: "... يقول تعالى ذكره: ولقد ابتلينا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا شيطانا ممتثلا بإنسان، ذكروا أن اسمه صخر. وقيل: إن اسمه آصف. وقيل: إن اسمه آصر. وقيل: إن اسمه حقيق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال: هو صخر الجنيّ تمثّل على كرسيه جسدا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ) قال: الجسد: الشيطان الذي كان دفع إليه سليمان خاتمه، فقفذه في البحر، وكان ملك سليمان في خاتمه، وكان اسم الجنيّ صخرا. حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا مبارك، عن الحسن (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال: شيطانا. حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال: شيطانا يقال له آصر...³

ثم ظهر من قال أن الجسد يفسر بما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ رَبِيعَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمَزٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: لِأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ، أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ كُلُّهُنَّ، يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنَّ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً، جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ: إِنَّ شَاءَ اللَّهُ، لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ"⁴

وهذا ما نجده في تفسير الألوسي حيث قال: وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ أظهر ما قيل في فتنته عليه السلام أنه قال: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل إن شاء الله فطاف

¹ روح المعاني، 77/9.

² ص: 34.

³ جامع البيان، 196/21.

⁴ أخرجه البخاري في صحيحه، باب: من طلب الولد للجهاد، ح رقم 2819، 22/4.

عليهن فلم تحمل إلا امرأة وجاءت بشق رجل وقد روى ذلك الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة مرفوعا وفيه «فو الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فرسانا»¹

وهذه القصة التي رواها الألوسي في تفسيره لم يورده تفسيراً للآية بل ذهب إلى أن الجسد شيطان فقال: "واختلف في اسم ذلك الشيطان فعن السدي أنه حقيق وعن الأكثرين أنه صخر وهو المشهور، وإنما قال سبحانه: جسداً لأنه إنما تمثل بصورة غيره وهو سليمان عليه السلام وتلك الصورة المتمثلة ليس فيها روح صاحبها الحقيقي وإنما حل في قلبها ذلك الشيطان فلذا سميت جسداً وعبارة القاموس صريحة في أن الجسد يطلق على الجني.²

وبهذا يظهر أن الألوسي قام بتوجيه الآية إلى محتمل دون آخر وهو أن المقصود بالجسد "شيطان".

3- معرفة سبب القصة:

نلاحظ أن العديد من المرويات الإسرائيلية وردت في التفسير، خاصة في تفسير الآيات التي تتحدث عن القصة القرآنية، ومن الملاحظ أن بعض هذه المرويات لا يخالف القرآن الكريم وعصمة الأنبياء. كتعيين اسم صاحب موسى عليه السلام بأنه الخضر، فقد جاء هذا الاسم صريحاً على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عند البخاري حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا الْبَكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرٌ؟ فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيئًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَزِدْ الْعِلْمَ [ص:36] إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: ائْتِنَا حُوتًا فِي مَكْتَلٍ، فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثُمَّ، فَانْطَلِقْ وَانْطَلِقْ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَحَمَلًا حُوتًا فِي مَكْتَلٍ، حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا وَنَامَا، فَاسْتَسَلَّ الْحُوتُ مِنَ الْمَكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ) قَالَ مُوسَى: (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، إِذَا رَجُلٌ مُسَجَّى بِثَوْبٍ، أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ، فَسَلَّمَ مُوسَى، فَقَالَ الْخَضِرُ: وَأَنْتَ بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟ فَقَالَ: أَنَا مُوسَى، فَقَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رَشَدًا قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكُهُ لَا أَعْلَمُهُ، قَالَ: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا، وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، لَيْسَ لُهُمَا سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمَ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعَرَفَ الْخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِعَيْرِ نَوْلٍ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقَرْتَيْنِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ الْخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعَلَّمَكُ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنْفَرَةَ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ، فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنَ الْأَوْحِ السَّفِينَةِ، فَتَرَعَهُ، فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِعَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَحَرَقْتَهَا لِتُعْرِقَ أَهْلَهَا؟ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ قَالَ: لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا - فَكَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نَسِيَانًا -، فَانْطَلَقَا، فَإِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَاتَّخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ مُوسَى: أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِعَيْرِ نَفْسٍ؟ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ - قَالَ ابْنُ

¹ روح المعاني: 190/12.

² روح المعاني: 190/12.

عَيْنَةً: وَهَذَا أَوْكُدُ - فَانْطَلَقْنَا، حَتَّى إِذَا أَتَيْتِ أَهْلَ قَرْيَةِ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ، قَالَ الْحَضْرُ: بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: لَوْ شِئْتَ لَأَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا، قَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ " قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَرْحُمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقْصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا»¹.

فالقُرآن الكريم يورد أموراً لا يعرف سببها، وإيراد الإسرائيليات يبين لنا الأسباب التي أفضت لوقوع الحدث، وعلى سبيل المثال ما روى في تفسير قوله تعالى: " وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسْفِ إِذْ تُسَوِّرُوا الصَّخْرَةَ " فقال الإمام الألويسي: " وهذا واختلف في أصل قصته التي ترتب عليها ما ترتب فقيل: إنه عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له أوريا من مؤمني قومه - وفي بعض الآثار أنه وزيره - فمال قلبه إليها فسأله أن يطلقها فاستحى أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان وكان ذلك جائزاً في شريعته معتاداً فيما بين أمته غير محل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبت، وقد كان الرجل من الأنصار في صدر الإسلام بعد الهجرة إذا كانت له زوجتان نزل عن إحداهما لمن اتخذه أخاً له من المهاجرين لكنه عليه السلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغي له أن يتعاطى ما يتعاطاه آحاد أمته ويسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة أن ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه أن يغالب ميله الطبيعي ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به، وقيل إنه أضمر في نفسه إن قتل أوريا تزوج بها وإليه مال ابن حجر في تحفته.

وقيل لم يكن أوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها هو فأثره عليه السلام أهلها فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن، وفي بعض الآثار أنه فعل ذلك ولم يكن عالماً بخطبة أخيه فعوتب على ترك السؤال هل خطبها أحد أم لا؟ وقيل إنه كان في شريعته أن الرجل إذا مات وخلف امرأة فأولياؤه أحق بها إلا أن يرغبوا عن التزوج بها فلما قتل أوريا خطب امرأته ظاناً أن أولياؤه رغبو عنها فلما سمعوا منعهم هيبتهم وجلالته أن يخطبها. وقيل إنه كان في عبادة فاتاه رجل وامرأة متحاكمين إليه فنظر إلى المرأة ليعرفها بعينها وهو نظر مباح فمالت نفسه ميلاً طبيعياً إليها فشغل عن بعض نوافله فعوتب لذلك، وقيل إنه لم يثبت في الحكم وظلم المدعى عليه قبل سؤاله لما ناله من الفزع وكانت الخصومة بين المتخاصمين وكانا من الإنس على الحقيقة إما على ظاهر ما قص أو على جعل النعجة فيه كناية عن المرأة، ونقل هذا عن أبي مسلم، والمقبول من هذه الأقوال ما بعد من الإخلال بمنصب النبوة، وللقصاص كلام مشهور لا يكاد يصح لما فيه من مزيد الإخلال بمنصبه عليه السلام.³

وبعد ذلك وجه تفسير القصة التوجيه السليم فقال: " وكان عليه السلام كما روي عن ابن عباس جزءاً زمانه أربعة أجزاء يوماً للعبادة ويوماً للقضاء ويوماً للاشتغال بخاصة نفسه ويوماً لجميع بني إسرائيل فيعظهم ويكيهم، وسبب الفزع قيل: إنهم نزلوا من فوق الحائط وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتكون من يريد الدخول عليه فخاف عليه السلام أن يؤذوه لا سيما على ما حكى أنه كان ليلاً، وقيل: إن الفزع من أجل أنه ظن أن أهل مملكته قد استهانوه حتى ترك بعضهم الاستئذان فيكون في الحقيقة فرعاً من فساد السيرة لا من الداخلين، وقال أبو الأحوص: فزع منهم لأنهما دخلا عليه وكل منهما أخذ برأس صاحبه، وقيل: فزع منهم لما رأى من تسورهم موضعاً مرتفعاً جداً لا يمكن أن يرتقى إليه بعد أشهر مع أعوان وكثرة عدد، والظاهر أن فزعه ليس إلا لتوقع الأذى لمخالفة المعتاد فلما رأوه وقد فزع قالوا لا تخف وهو استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عليه السلام

¹ أخرجه البخاري في صحيحه باب ما يُسْتَحَبُّ لِلْعَالِمِ إِذَا سُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَيَكِلُ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ، 1/35.

² ص: 21.

³ روح المعاني: 166/12-167.

كأنه قيل: فماذا قالوا عند مشاهدتهم فزعهم؟ فقيل: قالوا له إزالة لفرعه لا تحف خصمانٍ خبر مبتدأ محذوف أي نحن خصمان، والمراد هنا فوجان لا شخصان متخصصان وقد تقدم¹.

خاتمة:

الحمد لله الذي وفقني لإنهاء هذا المقال الموسوم ب: مجالات استفادة الإمام الألوسي من الروايات الإسرائيلية في تفسيره المسمى روح المعاني، والذي أسفر عن نتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

- تعتبر الإسرائيليات من المسائل المهمة في أصول تفسير القرآن الكريم، فقد اختلف العلماء في هذه المسألة بعد اتفاهم على حكم التفسير ببعض صور هذه الإسرائيليات، خصوصا وأن كثيرا من المفسرين أوردوا هذه الروايات الإسرائيلية في تفاسيرهم، كالإمام الألوسي.

- الإسرائيليات هي تلك الثقافة اليهودية والنصرانية التي استمدتها اليهود والنصارى من التوراة والإنجيل والكتب الملحقة بها ونقلوها معهم إلى المسلمين حين دخلوا في الإسلام.

- فيما يتعلق بتوظيف الإسرائيليات في تفسير روح المعاني، فالإمام الألوسي لا يحتاج إلى الإسرائيليات ولكنه استفاد منها حيث اعتمد في تفسيره لبعض القصص على دقائق اللغة وسياق الكلام والموضوع العام وتعيين المبهم، وتوجيه الآية لمعنى محتمل لها، تفصيل المجلد، معرفة سبب القصة وغير ذلك.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، رمزي نعاة، دار القلم، دمشق، دار الضياء، بيروت، ط1، (1390هـ_1970م)،

- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط4، 1408هـ.

- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط15، 2002م.

- أعيان القرن الثالث عشر، أحمد تيمور باشا، دار الآفاق العربية، ط1، 2001م.

- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ.

- التعريف والأعلام بما أجه في القرآن من الأسماء والأعلام، السهيلي مكتبة الأزهر الكبرى، مصر.

- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م.

- التفسير والمفسرون، الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة.

- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، ت: أحمد

محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

¹ روح المعاني: 170/12

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، ت: -عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- محمود شكري الألوسي وأراؤه اللغوية.
- معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: 1408هـ)، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، د ت.
- مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1490هـ/ 1980م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ت: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، 84/1، تفسير ورجاله، ابن عاشور، ط2، (1417هـ_1997م).
- منهج الشيخ الألوسي في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، عبد الله ربيع جنيد.
- هداية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، طبع إستانبول وكالة المعارف، د ط، (1951م) .